

## جبرا إبراهيم جبرا ناقداً

ميّ أحمد يوسف\*

ليس من الغرابة في شيء أن يكون الإنسان مبدعاً، وليس من الغرابة في شيء أن يكون الإنسان ناقداً، في أي حقل كان الإبداع أو النقد، ولكن ليس من المألوف في شيء أن يجمع إنسان واحد في ذاته المجد من أطرافه: الإبداع في الإبداع، والإبداع في نقد الإبداع، والإبداع في الترجمة، وفي الفن التشكيلي أيضاً.

لا غرو أن يكون حديثنا هنا عن جبرا إبراهيم جبرا، الشاعر الفئان، والناقد الأديب، الذي حمل هموم بلده على ظهره، ليستنير بها في رحلته عبر دروب الغربة، ليبقي وطنه أمام ناظره متألئناً، منيراً في دروب الظلم والظلام، وسبل الجهل والحرمان، ويظهر هذا جلياً في إسقاطاته لأحاسيسه على الأمكنة هناك، حيث يقول: "لعلّ الحزن والفرح ما كانا إلا وجهين لتجربة وجودية واحدة أفتنصها، ولا أتنازل عنها، وأريد التعبير عنها فيما أكتب، مهما تكن اللغة التي أكتب بها"<sup>1</sup>

لقد كان جبرا متعديّ المواهب، مختلف الأبعاد والجوانب<sup>2</sup> كتب في معظم الأنواع الأدبية الحديثة: فقد كتب القصة القصيرة، والرواية، والشعر والمقالة والبحث الأدبي، وترجم عن الإنجليزية أمهات الكتب في الأدب والنقد، خاصة مؤلفات شكسبير، وكتب في هذه اللغة شعراً ورواية ونقداً.

\* محاضرة وباحثة في جامعة اليرموك - الأردن.

<sup>1</sup> جبرا، شارع الأميرات، دار الآداب، بيروت، 2007، ص 46.

<sup>2</sup> إبراهيم خليل، جبرا إبراهيم جبرا: الأديب الناقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،

## من هو جبرا إبراهيم جبرا:

جبرا إبراهيم جبرا فلسطينيُّ المولد والنَّشأة، ولد في بيت لحم بتاريخ 1920/8/28، في أسرة مسيحيَّة فقيرة، تتألَّف من سِتَّة أشخاص، وكان أبوه عاملاً فقيراً، وأمُّه مدبِّرة صابرة<sup>1</sup>. درس في مدرسة السَّريان الأرثوذكس، ثمَّ في مدرسة بيت لحم الوطنيَّة، انتقل بعدها إلى المدرسة الرِّشديَّة في القدس، وكانت هذه المدرسة إحدى أعرق مدارس فلسطين، وكانت سلطات المعارف آنذاك، تجمع فيها الطَّلبة المتفوقين في المدارس الحكوميَّة في فلسطين كلِّها،<sup>2</sup> وربَّما كان جبرا محظوظاً أن درس فيها على أيدي أساتذة كبار، وشعراء يُشهد لهم بشاعريَّة فذَّة، هم: إبراهيم طوقان، وإسحاق موسى الحسيني، وعبد الكريم الكرمي، ومحمَّد خورشيد العدناني، وبعد الرِّشديَّة التحق بالكلِّيَّة العربيَّة في القدس عام 1935، وهي كَلِيَّة تخرَّج فيها كبار المفكرين والشُّعراء والتَّربويِّين الفلسطينيِّين، وتخرَّج فيها هو عام 1938، وقد اكتسب فيها علماً وثقافة، وتمكَّن في اللُّغة الإنجليزيَّة، أهله فيما بعد للسَّفر إلى بريطانيا، في بعثة علميَّة على نفقة إدارة المعارف العامَّة لحكومة فلسطين عام 1939، فالتحق أوَّلًا بجامعة (إكستر Exeter) ثمَّ تحوَّل إلى جامعة كامبردج، وتخصَّص فيها بالأدب الإنجليزي، وفي أثناء الدِّراسة كتب كثيرًا من الشِّعر الإنجليزي، وقد انجذب خلال هذه الفترة إلى الشَّاعرين المحدثين: شيلي (Percy Bysshe Shelley) وكيٲس (John Keat)، وكان المؤتِّر الشَّخصي الكبير في جبرا اف. ر. ليفيس، (F. R. Leavis)، وقد تعلَّم جبرا من هؤلاء منهجه النَّقدي، الَّذي بدا واضحًا متبلورًا فيما كتبه من مقالات، وفيما أُجري معه من حوارات.

<sup>1</sup> جبرا، البئر الأولى، دار الآداب، بيروت، 2007، 2009، ص 157.

<sup>2</sup> جبرا، شارع الأميرات، مرجع سابق، ص 26.

وفي عام 1944، حصل جبرا من جامعة كمبردج على درجة الماجستير في النّقد الأدبي. عن بحثه الموسوم بـ: "الصُّور الشّعريّة في مسرحيّة الشَّيطان الأبيض"<sup>1</sup>. وفي صيف سنته الأولى في إنجلترا، وجدها فرصة ثمينة أن يتنقّل في أنحاءها لمزيد من الدّورات الدِّراسيّة في الأدب الإنجليزي: كما فعل في كليّة سومرفيل ( somerville college) مثلاً، ولزيارة أماكن تحمل دلالات ثقافيّة وتاريخيّة مثل: سترانفورد أون أفون (stratford on avon) مسقط رأس شكسبير، مضيفاً إلى ذلك حضوره المكثّف لعروض مسرحيّة لعدد من مسرحيّات شكسبير، في الموسم الشكسبيري الذي أقيم ذلك الصّيف في ذلك المكان.<sup>2</sup>

عاد جبرا إبراهيم جبرا إلى القدس في العام نفسه الذي تخرّج فيه، حيث عُيّن أستاذاً للأدب الإنجليزي في المدرسة الرّشديّة<sup>3</sup>، حتّى عام 1948، المنعطف الأكبر في حياته، وكان جبرا قد تعاقد للتّدريس في الكليّة التّوجميّة في الأعظميّة، وهي نواة جامعة بغداد،<sup>4</sup> فذهب إليها، في العام نفسه الذي حصلت فيه التّكبة، والذي هجر فيه أهل بلده من بلادهم فلسطين. وفي بغداد ساهم جبرا في تأسيس القسم الإنجليزي في كليّة الآداب والعلوم، فعُيّن أستاذاً للأدب الإنجليزي فيها، لأعوام عدّة، ثمّ تعرّف على العراقيّة لميعة برقي العسكري، وهي امرأة مثقّفة، حاصلة على الماجستير في الأدب الإنجليزي، فأحبّها، وتزوَّجها عام 1952، بعد أن اعتنق الدّين الإسلامي لأجلها، ورزق منها ابنيه: سديروياسر.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عبد الجبّار داود البصري، الخطاب النّقدي عند جبرا، المجلّة الثّقافيّة، الجامعة الأردنيّة، 1998.

<sup>2</sup> جبرا، شارع الأميرات، مرجع سابق، ص 46

<sup>3</sup> ن.م.، ص 71.

<sup>4</sup> ن.م.، ص 69.

<sup>5</sup> ن.م.، ص 105.

سافر جبرا في هذا العام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك التحق بجامعة هارفارد (Harvard)، في زمالة دراسية للتقيد الأدبي، وقد درسه هناك على يد أي.ا. ريتشاردز، (I.A. Richards) وريناتو بوجولي، (Renato Bogoli) وأرشيبولد مكليش، (Archibald MacLeish) الذين كان لهم جميعاً أثر في استمرار نهجه النقدي بعد ذلك.<sup>1</sup>

وفي عام 1954، عاد جبرا إلى بغداد، وعمل في شركة النفط العراقية رئيساً لمكتب الإعلام والنشر والترجمة، دون أن ينقطع عن التدريس في كلية الآداب، وكذلك في كلية الملكة عالية، حتى عام 1964، ثم عمل بعدها خبيراً في وزارة الثقافة والإعلام. ثم أتاحت له الفرصة أن يعود إلى الولايات المتحدة في زمالة دراسية في التقيد الأدبي في العام 1975 أستاذاً زائراً في جامعة بيركلي بولاية كاليفورنيا، (Berkeley) وفي الأشهر الستة الأولى من سنة 1976، عُيّن مدرّساً للأدب العربي المعاصر في الجامعة عيناها.

حمل جبرا الجنسية العراقية، ولكنّه بقي متماهياً بفلسطينيته: فقد لازمته لهجتها مدة حياته إلا ما ندر، وبقي محتفظاً بهومها في قلبه وقلمه، فكان جهده الثقافي الإبداعي كان إثباتاً منه أنّ فلسطين موجودة في أبنائها، ما بقي منهم واحد على وجه البسيطة.

بقي جبرا في بغداد إلى أن وافته منيته يوم الأحد، الثاني عشر من شهر كانون الأوّل/ديسمبر، من عام 1994، ودفن هناك، تاركاً زهاء ثلاثة وستين كتاباً بين مترجم ومؤلف.

<sup>1</sup> جبرا، معايشة النمرة وأوراق أخرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص 24-

وفي شهر نيسان من عام 2010، دُمر بيت جبرا في حي المنصور ببغداد، بعملية انتحارية بسيارة مفخخة استهدفت السفارة المصرية، وقتل فيه سبعة عشر شخصاً، واحترقت عشر سيارات، واحترق البيت الذي كان من المفترض أن يتم تحويله إلى متحف، بكل ما فيه من لوحات فنيّة وكتب وتحف وأسطوانات موسيقية نادرة.

### نشاط جبرا الثقافي في بغداد:

لم تكن حياة جبرا الثقافيّة في بغداد مقتصرة على العمل الكتابي، بل اتخذ نشاطه الثقافيّ فيها أشكالاً عدّة، منها علاقاته مع شخصيات ثقافية: فقد التقى فيها الشاعر محمود الحوت، واللغوي فهد الرّيماوي، والمؤرخ الفلسطيني زهدي جار الله، والإنجليزي دزموند ستوارت، (Desmond Stewart) مؤلف كتابي: (ثيودور هرتزل مؤسس الصهيونية)، و (تاريخ الشرق الأوسط الحديث).

وكان جبرا يتردد على شارع الرّشيد، وعلى مكتبة مكزي في هذا الشارع العريق، وهناك التقى بشخصيات لم يتوقع أن يراهم في بغداد، من مثل: روبرت هاملتون، الباحث الأركيولوجي، الذي عمل مديراً لمتحف روكفلر للآثار الفلسطينية في القدس، ومن عجائب الصّدف أن يلتقي بزوجين، هما: السيّد ماكس مالون وزوجته، وقد اكتشف - فيما بعد - أنّ السيّدّة مالون ليست سوى أغاثا كريستي، كاتبة الروايات البوليسية المشهورة.

أسس جبرا هو ووجواد سليم "جماعة بغداد للفنّ الحديث"<sup>1</sup>، التي كان لها دور أساسي في نقل الفنون التشكيلية من التقليد العقيم إلى الحداثة، التي أصبحت ديدنه في الأدب والنقد أيضاً.

<sup>1</sup> جبرا، شارع الأميرات، مرجع سابق، ص 93.

يضاف إلى نشاطاته تلك، أنه كان أحد مؤسسي مجلة "شعر" عام 1957 في بيروت، رغم اختلافه مع طراز القصيدة النثرية، التي كان يكتبها آنذاك من تعرّف عليهم من الشعراء المنضوين تحت جناح هذه المجلة، مثل: يوسف الخال والفلسطيني توفيق الصايغ، إضافة إلى عدد من الشعراء المجددين، وفي هذه الفترة أصدر جبرا مجموعته الشعرية الأولى "تمّوز في المدينة" وذلك عام 1959.

وكان جبرا عضواً في كلّ من نادي الفنون بالقدس وجمعية الفنانين العراقيين واتّحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بالعراق وكان نائب الرئيس فيه.

كانت لجبرا نشاطات أخرى ثقافية وأدبية وفنية، من ذلك: إنشاء جمعية للمناظرات وللمسرح، وللموسيقى وأمّا ما كان يكتبه من مقالات ونصوص سردية وشعرية فكان ينشرها في مجلة (الأديب) لصاحبها (ألبير أديب).

كان جبرا مبدعاً في الترجمة إبداعه في الكتابة الروائية والشعرية، وقد أسهمت ترجماته عن الإنجليزية في تطوير الكتابة العربية في مجال الحداثة شعراً ونثراً ونقداً، خاصّة ترجمته لكتاب جيمس فريزر "الغصن الذهبي" 1955، بعنوان تمّوز أو أدونيس.

#### جوائز نالها جبرا إبراهيم جبرا:

نال جبرا جوائز وأوسمة عربية ودولية كثيرة منها: جائزة أوروبا للثقافة، عام 1983 م، وجائزة مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي، عام 1987م، وجائزة الدولة للآداب، عام 1988م، ووسام القدس للثقافة والفنون من منظمة التحرير الفلسطينية، في كانون الثاني عام 1990، جائزة سلطان العويس عام 1990م، جائزة جامعة كولومبيا عام 1991م، ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من تونس عام 1991م.

## أعماله الشعريّة:

"إن لم أكن شاعرًا أولًا وأخيرًا، فلن أكون ناقدًا ولا روائيًا ولا مبدعًا؛ لأنّ الشّعر هو سمة الأصالة في كلّ الفنون"<sup>1</sup>

أصدر جبرا إبراهيم جبرا أربع مجموعات شعريّة في حياته، وهي على التّوالي: تمّوز في المدينة 1959، المدار المغلق 1964، لوعة الشّمس 1979، سبع قصائد 1990، يُضاف إليها مجموعة بعنوان قصائد بعضها لليل وبعضها للنّهار، نُشرت في مجلّة ببادر، الّتي تصدر في تونس، والّتي كان أحمد دحبور يرأس هيئة تحريرها.<sup>2</sup> ومما يجدر ذكره في معرض الحديث عن نشاط جبرا الثّقافي أنّه أشار إلى الخلط الحاصل عند الشّعراء بين مفهومي قصيدة النّثر وقصيدة الشّعر الحرّ مع توضيح كلّ منهما، ومن ثمّ كان له الفضل في دفع قصيدة الشّعر الحرّ وقصيدة النّثر لتجدد لهما مكانًا في الثّقافة العربيّة المعاصرة.<sup>3</sup>

فجبرا "هو واضع ركائز القصيدة التّموزيّة العربيّة. والتّموزيّة نسبة إلى تمّوز، إله الخصب القديم في بلاد الشّام وما بين التّهرين"،<sup>4</sup> ومع هذا الجزم من بعض النّقاد من المتحمّسين لجبرا، فقد عارض آخرون هذه المقولة وبشدة، ونفوا ريادته للتّجديد في الشّعر، مثل الشّاعر العراقي سامي مهدي في مقالات عدّة له، في حياة جبرا وبعد وفاته.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أوس يعقوب، أضواء على التّجربة الشعريّة للشّاعر الفلسطينيّ الرّاحل جبرا إبراهيم جبرا، ru ru- facebook.com

<sup>2</sup> أحمد دحبور، جبرا إبراهيم جبرا، ديوان العرب، <http://www.diwanalarab.com>

<sup>3</sup> جبرا، الرّحلة الثّامنة، دراسات نقدية، العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1979 ص 9.

<sup>4</sup> أحمد دحبور، جبرا إبراهيم جبرا، مرجع سابق.

<sup>5</sup> سامي مهدي، جبرا إبراهيم جبرا والريادة الشعريّة: من أين جاءت الريادة؟!، القدس العربي،

### نشاطه الإبداعي في مجال القصّة القصيرة:

بدأ جبرا نشاطه الأدبي في كتابة القصّة القصيرة قبل سفره إلى بريطانيا، وأخذ ينشر نتاجه الأدبي المبكّر في مجلّتي (الرّسالة) و(الهلال) المصريّتين، إلى جانب مجلّة (الأمالي) اللّبنانية.

وفي عام 1955 أصدر جبرا مجموعة قصصيّة، عنوانها: (عرق وقصص أخرى)، أهداها لزوجته لميعة، صدرت مرّة أخرى عام 1974 في دمشق، بعنوان: (المغثون وقصص أخرى)، قدّم لها توفيق صايغ، وضمتّ هذه المجموعة القصصيّة إحدى عشرة قصّة، لكنّه - مع ذلك - لم يجعل من فنّ القصّة القصيرة فنّه المحبّب الذي سيخلص له كما فعل غيره من كُتّاب فلسطين، الذين ارتبطت أسماؤهم بالقصّة القصيرة دون غيرها؛ لأنّه كان يعتبرها فنّاً سهلاً.

### أعمال جبرا الرّوائية:

بدأ جبرا نشاطه في كتابة الرّواية قبل ذهابه إلى بريطانيا، فقد كتب رواية بالإنجليزية، وكان ذلك عام 1946، بعنوان "Passage in the Silent Night"، لكنّه لم ينشرها آنذاك، بل اكتفى بتوزيعها على زملائه في الجامعة، ثمّ أعاد كتابتها بالعربيّة، وهو يدرس في جامعة هارفارد،<sup>1</sup> وقد أعطى جبرا روايته هذه عنواناً هو: (صرع في ليل طويل). وقد نشرت في بغداد عام 1955، ثمّ تتابعت رواياته بالظهور بعد ذلك، وهي:

صيّادون في شارع ضيق 1960، السّفينة 1973، البحث عن وليد مسعود 1978، عالم بلا خرائط، رواية مشتركة مع عبد الرّحمن منيف 1983، الغرف الأخرى 1986، الملك الشّمس (سيناريو روائي) 1988، يوميات سراب عقّان، 1993. وقارئ هذه

<sup>1</sup> أحمد دحبور، جبرا إبراهيم جبرا، مرجع سابق.



الزوايات يلحظ أمراً مشتركاً بينها جميعاً، وهو: تعلق جبرا بمسقط رأسه بيت لحم وبالمدينة التي شهدت طفولته وصباه: القدس، وشخصياته فيها شديدة الشبه به. وكتب جبرا سيناريوهات لعدد من الأفلام التسجيلية مثل فيلم: (جذور الفن العراقي المعاصر)، وكتب حوار فيلم (عمر المختار)، للمخرج مصطفى العقاد.

وقد نشر جبرا كتابين في السيرة الذاتية، هما:

1. البئر الأولى، 1987، ويروي فيها أحداثاً معينة تركت على حياته بصماتها، عن سنوات حياته الاثنتي عشرة الأولى، التي قضاها بين مدينتي بيت لحم (أول تسع سنوات)، والقدس بعد ذلك. تحدّث جبرا في هذا الكتاب عن حياة الناس في فلسطين في عشرينيات القرن الماضي، وعن حياة المسيحيين فيها، بأسلوب روائي ممتع. وتبدو في سيرته "البئر الأولى" كثير من ملامح العمل الإبداعي، وخبرة رفيعة المستوى في السرديات عند صاحبها.

2. شارع الأميرات، 1994، يبدأ هذا الكتاب من سنة ذهابه إلى بريطانيا وينتهي بعودته من أمريكا للعمل في بغداد. وهذا الكتاب أقرب إلى الرواية أو الحكاية، أكثر منه إلى السيرة الذاتية؛ لكثرة ما فيه من التخيل والسرد القصصي البعيد نوعاً عن السرد السيري.

وجاء "شارع الأميرات" في مقدّمة وستة فصول:

الفصول الثلاثة الأولى تتحدّث عن مرحلة دراسته في بريطانيا، والفصلان التاليان يتحدّثان عن حياته في بغداد، أمّا الفصل الأخير، وهو أكبر الفصول حجماً، فيتحدّث عن تلك السنة العجائبية التي تعرّف خلالها على لميعة برقي العسكري، التي أصبحت فيما بعد زوجته.

وقد ترجمت بعض أعماله الروائية والقصصية والشعرية وسيرته أيضاً، إلى عدد من اللغات.

### آثار جبرا النقدية:

سنذكر هنا كتب جبرا النقدية بالعربية، دون المترجمة، التي سيرد ذكر لبعضها عند الحديث عن تأثيره بنقاد الغرب. ومؤلفاته النقدية ثمانية، هي:

#### - الحرية والطوفان، 1960:

وهو أول كتبه في النقد، ويضمُّ أهمَّ كتاباته النقدية الأولى بين العام 1949 والعام 1960، وشكّل هذا الكتاب العلامة الفارقة في أدب جبرا وفنّه ونقده؛ فقد تمثّل فيه عالم صاحبه الفكري والثقافي الذي اكتسبه من مرحلته الأوروبية بأبهى صورة. ويضمُّ الكتاب أربعة عشر مقالاً؛ اثنين عن الرواية، ومقالين عن الرسم وأربعة مقالات في موضوعات عامّة، وستّة مقالات عن الشعر، ويلاحظ أنّ ثلاثة من المقالات الستّة الأخيرة معنيّة بالشعر الرومانسي والشعراء الرومانسيين الغربيين حصراً. ويلاحظ أنّ جبرا في هذا الكتاب "ينطلق من اللحظة الكبرى للتّجديد، بمعنى: النّظر إلى حياتنا في ما تضمُّ من معاني التّطوّر، ومن توجّه إلى إحداث التّغيير وتحقيق المغايرة مع السّائد المألوف"<sup>1</sup>. وهذا الكتاب من أهمّ كتب جبرا النقدية الجادة، وقد شدّد فيه على أهميّة الحرية الإنسانية، وعلى الخطر الذي يهددها في المجتمعات التي تسود فيها التّزعة إلى الطّغيان.<sup>2</sup> وتحدّث في هذا الكتاب -أيضاً- عن الدّروّة في الأدب،<sup>3</sup> والفنّ والالتزام فيه، وعن الشّاعرين يوسف

<sup>1</sup> ماجد السّامرائي، جبرا إبراهيم جبرا: الرّؤية النّقدية من أفق الإبداع، [www.startimes.com](http://www.startimes.com)

<sup>2</sup> جبرا، الحرية والطوفان، دراسات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1979، ص 55.

<sup>3</sup> ن.م،، ص 5.

الخال في ديوانه (البئر المهجورة) وتوفيق صايغ في ديوانه (ثلاثون قصيدة) والرّواية والإنسانيّة وغير ذلك من الموضوعات.

- الرّحلة الثامنة، 1967:

كان الموضوع الأثير لجبرا في هذا الكتاب هو الشّعر العربي الحديث والرّواية العربيّة، ومعهما الحوار في المسرحيّة. إضافة إلى احتفال جبرا في كتابه هذا بالرّومانسيّة والسّرياليّة.

وأما موضوع الشّعر الحديث، فقد خصّه جبرا بمقال بعنوان: "الشّعر الحرّ والنّقد الخاطئ"، كتبه عام 1961. ينتقد فيه نازك الملائكة، التي ترفض هذه التّسمية، فتسميه نثرًا تارة وقصيدة نثر تارة أخرى، "فترتكب بذلك مغالطة واضحة في وضع الاصطلاح"<sup>1</sup>. وفي الوقت نفسه يشيد بشعر بدر شاكر السّياب، ومحمّد الماغوط، وفي هذا المقال عينه يروّج للشّعر الحرّ.<sup>2</sup>

صادف تأييد جبرا للشّعر الحرّ معارضة عند بعض النّقّاد، ومنهم محمّد غنيبي هلال، الذي قال: "وفيما يخصّ القيمة الفنيّة لهذا النّوع من الشّعر الحديث، نقرّر أنّ التّجارب النّاجحة تقلّ فيه حتّى الآن، وذلك أنّ كثيرًا من شعرائنا ينظمون في الأوزان الجديدة جنوحًا إلى اليسر والسّهولة، عن غير إدراك لصعوبة هذا النّوع من الأوزان الموسيقيّة الموحية التّعبيريّة"<sup>3</sup>.

والموضوع الآخر الذي كان يستأثر باهتمام جبرا في هذا الكتاب هو: الأسطورة، فقد كتب حوله مقالًا بعنوان: "الأسطورة وسيف الكلمة"، وذلك عام 1965، وقد

<sup>1</sup> جبرا، الرّحلة الثامنة، مرجع سابق، 18-19.

<sup>2</sup> ن.م.، ص 9.

<sup>3</sup> محمد غنيبي هلال، النّقد الأدبي الحديث، بيروت، دار العودة، 1973، ص 474-475.

تمحور هذا المقال حول السِّيَاب، الَّذِي أَكْثَرَ مِنْ اسْتِخْدَامِ الرَّمْزِ فِي شِعْرِهِ، وَكَذَلِكَ الشَّاعِرِ الْفِلَسْطِينِيِّ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَحْمُودٍ.

وَمِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي اسْتَقْطَبَتْ اهْتِمَامَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ - أَيْضًا: السَّرِّيَالِيَّةُ، الَّتِي يَرَى فِيهَا جَبْرًا فَنًّا عَجِيبًا نَشَأَ مِنْ شَوَارِدِ اللَّأْوَعِيِّ فِي نَهَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى، فَكَانَتْ السَّرِّيَالِيَّةُ اسْتِجَابَةً لِحَالَةِ الضَّبَّاعِ لِلأَدْبَاءِ آنَذَاكَ، وَمِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ جَاءَ الْغَمُوضُ الَّذِي لَفَّ فَهَمَّ.

إِضَافَةً إِلَى مَا ذُكِرَ، ضَمَّنَ جَبْرًا كِتَابَهُ "الرَّحْلَةَ الثَّامِنَةَ" مَقَالًا كَتَبَهُ عَامَ 1966 فِي مَوْضُوعِ الْحَدَاثَةِ، بِعَنْوَانِ: "الْمُونُولُوجِ، الْمُونِتَاجِ، التَّضْمِينِ"، يَرَى فِيهِ أَنَّ الشَّعْرَ الْحَدِيثَ أَشْبَهَ بِالْمُونُولُوجِ، أَيِ حِوَارِ الشَّاعِرِ مَعَ نَفْسِهِ، فِي حِينِ كَانِ الشَّاعِرُ الْقَدِيمَ يَخَاطِبُ الْآخِرِينَ أَكْثَرَ مِنْ مَخَاطَبَتِهِ نَفْسَهُ.

#### - النَّارُ وَالْجَوْهَرُ، 1975:

يَقُولُ جَبْرًا فِي هَذَا الْكِتَابِ: "السِّمَّةُ الْكُبْرَى فِي التَّغْيِيرِ الَّذِي يَعْمُ الْعَالَمَ الْعَرَبِيَّ الْيَوْمَ، هِيَ تَغْيِيرُ الرُّؤْيَا، وَلِلشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمَعَاوِرِ صِلَةٌ كَبِيرَةٌ بِهَذَا التَّغْيِيرِ... وَالتَّغْيِيرُ الشَّعْرِيُّ أَسْلُوبًا وَمَحْتَوًى يَتَبَادَلُ الْأَثْرَ مَعَ تَغْيِيرِ الرُّؤْيَا... غَيْرَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الشَّعْرِيَّةَ نَفْسَهَا هِيَ هِيَ فِي جَوْهَرِهَا: إِنَّهَا قَضِيَّةُ الْإِنْسَانِ الْأَرْثِيِّ"<sup>1</sup>. يَتَحَدَّثُ جَبْرًا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَنِ عِلَاقَتِهِ بَعْدَ مِنْ الشُّعْرَاءِ، وَشِعْرِهِمْ وَهَمِّ: الْجَوَاهِرِيِّ، وَيُوسُفَ الْخَالِ، وَبَدْرَ شَاكِرِ السِّيَابِ الَّذِي التَّقَاهَ عَامَ 1962، أَيِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بَعَامِينَ، وَتَحَدَّثَ فِيهِ أَيْضًا عَنِ الشَّاعِرِ السُّورِيِّ أَدُونَيْسِ، (عَلِيِّ أَحْمَدِ سَعِيدِ)، وَنَزَارِ قَبَّانِي، وَتِيرِيزِ عَوَادٍ.

<sup>1</sup> جَبْرًا، النَّارُ وَالْجَوْهَرُ، دَرَاثَاتُ فِي الشَّعْرِ، دَارُ الْقُدْسِ، بَيْرُوتَ، ط1، 1975، ص5.

- ينابيع الرؤيا، 1979:

ويتطرق جبرا في هذا الكتاب إلى الرواية العربية وتاريخها، ويرى أنّها كانت في بداياتها تقليداً للرواية الغربية، وقد دعا جبرا في ينابيع الرؤيا إلى التجربة العربية في الحكاية قديماً، خاصةً حكايات ألف ليلة وليلة، التي التفت إليها العرب متأخرين، بعد أن أظهر الغربيون اهتماماً كبيراً بها. ومن الأمور اللافتة في هذا الكتاب تخصيص جبرا فصلاً بأكمله للحديث عن جورج أورويل، مؤلف مزرعة الحيوان، القادم من بنغلادش إلى بريطانيا.

- الفنُّ والحلم والفعل، 1985:

يذكر جبرا في مقدّمته لهذا الكتاب أنّه قرّر أن يجمع ما بين الكتابات والأحاديث في كتاب جديد؛ "لأنّ هذا الجمع وحده يبرّئ للكثير من الأفكار التي شغلّتي في السنين الأخيرة، إبطاً تقع ضمنه في مواقع يتّصل بعضها ببعض، ويضيء أحدها الآخر".<sup>1</sup> يلحظ قارئ هذا الكتاب، أنّ البعد الحضاري الأصيل لتواشج الفنون الإنسانيّة، وعروبة ما ينتجه الفنّان العربي، كانا الدافع لجبرا للتأكيد على إنسانيّة الفنّ الشّاملة.

- تأملات في بنيان مرمري، 1989:

كتاب يبحث في الأعماق الصّافية لينايبع الأدب. فيه آراء أطلقها جبرا في حوارات ثلاثة مع المؤلّف والنّاقد ماجد السّامرائي. أجازها معه حول التجربة الشّعريّة، والسؤال الإبداعي، والكتابة كوسيلة لرحلة الثّابت، وإطلاق الرّوح المبدعة. وقد تضمّن هذا الكتاب مقالات نقدية في الشّعر والفنّ، وفي فنّ الرواية، والموسيقى، وعن رحلته إلى الشّرق الأقصى.

<sup>1</sup> جبرا، الفنُّ والحلم والفعل، دار الشُّؤون الثقافيّة العامّة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ص 5.

## - معايشة النّمرّة وأوراق أخرى:

يتحدّث جبرا في هذا الكتاب عن تجربته في الكتابة، التي مارسها سنين كثيرة، ما عاد يحصيها، وكذلك عن تجربته مع القلق الذي لا يبارح كلّ من يبغى "معايشة النّمرّة" أو: متعة القراءة متعة الكتابة. بعد ذلك يتحدّث جبرا عن مواقف حياتيّة تتّصل بالكتابة، وعن قضايا متعدّدة في حقل الفنّ والأدب.

## - أقنعة الحقيقة وأقنعة الخيال، 1991:

كتاب نقدي جمع فيه جبرا آراءه النّقديّة ودراساته الأدبيّة، التي وردت في كتبه المختلفة، أفكارًا شتية، وشذرات منتشرة؛ لأنّه رأى فيما بينها اتّصالًا وثيقًا، فهي - جميعًا - تعبر عن قضايا وهواجس شغلته مدّة طويلة، ولأنّها "جماع تجارب وثيمات وتسؤلات وقناعات". تتميّز على الأغلب في كونها جاءت في صيغ من الإيجاز قد لا تقلّ دلالة عن المقالات الطّوال، وفي الوقت ذاته تحتفظ كلّ قطعة منها بتمامها واستقلالها.

## مشوار جبرا إبراهيم جبرا النّقدي:

بدأ جبرا مشواره النّقدي مبكّرًا، في أربعينيّات القرن الماضي، وبدأ يكتب مقالاته النّقديّة آنذاك بالإنجليزيّة، وتحوّل عنها إلى العربيّة بعد رجوعه إلى بغداد. يذكر جبرا في بعض كتبه والمقابلات التي أجريت معه، أنّ أوّل المؤثّرين به في مشواره النّقدي أستاذه في الكليّة العربيّة في القدس د. إسحق موسى الحسيني، وهو من الشّخصيّات التي شاركت في الحركة النّقديّة في فلسطين. يقول في ذلك: ".. وهو الذي جعلنا في دراسة قصائد معيّنة وتحليلها، نرى تداخل عمليّة النّقد والخلق، وهذا ما تأكّد لنا خلال قراءتنا بالإنجليزيّة، إنّه المؤثّر الأوّل المباشر في رؤيتي الأدبيّة

والتَّقْدِيَّة<sup>1</sup>، ومن المؤثِّرين به أولئك الذين درس عليهم في الغرب. يقول جبرا مجيباً عن سؤال مفترض يطرحه عليه النَّاس حول مدى تأثُّره بالغرب في نقده: "طبعاً تأثَّرت: "فالنَّاقِد كالفنَّان وارث لحضارات الإنسان كلِّها، وإلَّا فإنَّه لن يكون ذا قيمة تذكر، وقد تأثَّرت من حيث المنهج والرُّؤية بالنُّقَّاد الإنجليز بشكل خاص"<sup>2</sup> ويذكر جبرا في الكتاب نفسه عدداً من هؤلاء النُّقَّاد مثل: آي. أ. ريتشاردرز، وريناو بوجولي، وأرشيبولد مكليش، ومن النُّقَّاد الشُّعراء: درايدن، وكيتس، وماثيو آرنولد، ووالتر باتر، وأوسكار وايلد، وت. أس. إليوت.<sup>3</sup> بل إنَّه يصف ف. آر. ليفيز بأنَّه المؤثِّر الشَّخصي الكبير، يقول: "فقد درست عليه النُّقْد، وتعلمت على مجلَّته التَّقْدِيَّة (scrutiny) (تمحيص)، وعن طريقه دخلت إلى ما كان في الأربعينيَّات حتَّى السِّتينيَّات يدعى بالنُّقْد الجديد New criticism"<sup>4</sup>. ولا يخفى على متتبِّع نشاط جبرا النُّقدي هذا التَّأثُّر بالنُّقْد الغربي، إذ يلمسه فيما ترجمه من مقالات هذا النُّقْد وكتبه، خاصَّة في الشُّعر.

وبما أنَّ نشاط جبرا النُّقدي متأثِّر بقوة بالنُّقْد الغربي، فسيكون من الضَّروري التَّطرُّق - هنا - إلى بعض آثاره النُّقديَّة المترجمة، لأنَّها اللَّبنة الأولى الَّتِي ارتكز عليها مشروعه النُّقدي، وكانت هذه الآثار قد شكَّلت ملامح رؤاه النُّقديَّة، الَّتِي عُرِف بها - جبرا - عبر سني حياته النُّشطة فكرياً وثقافياً وإبداعياً، خاصَّة في حقلِي النَّظريَّة والتَّطبيق.

<sup>1</sup> جبرا، معايشة النُّمرة، مرجع سابق، ص 23.

<sup>2</sup> ن.م.، ص 29-30.

<sup>3</sup> ن.م.، ص 25.

<sup>4</sup> ن.م.، ص 25.

مثال ذلك كتاب: "الأدب وصناعته"، فمعظم المقالات الواردة فيه تدور حول الشّعر ولغته، وحول الطّريقة الجديدة في الأدب وغايته. وكتاب "قلعة إكسل" (Axel's Castle)، لأدموند ولسون، (Edmund Wilson)، وهو كتاب موقوف على النّقد التّطبيقي لأشهر الأعمال الغربيّة الصّادرة بين عامي 1870 و 1930، وهي الفترة الّتي ازدهرت فيها الرّمزيّة، لذا نرى جبرا يعتمد فيها على تفكيك الشّيفرة الرّمزيّة للنصّ الشعري.

وكتاب "ما قبل الفلسفة"، 1960، وكتاب "الأسطورة والرّمز"، الّذي صدر عام 1973، ويبدو كذلك أنّه شديد التّأثر بكتاب كان ترجم أجزاء منه بعنوان: "تمّوز أو أدونيس"، عام 1955، وهو كتاب "الغصن الدّهبي" (The Golden Bough) لفريرز (James George Frazer). فقد زخر هذا الكتاب بكثير من الأساطير الشّرقية، الّتي أقبل الشّعراء على استخدامها في أشعارهم، بل إنّ تأثير هذا الكتاب على جبرا جعله يطلق على بعض هؤلاء الشّعراء اسم "الشّعراء التّموزيين"، في اتجاه حدّاثي جديد، والتّموزيون حسب جبرا، هم الّذين يستخدمون أسطورة "تمّوز وإيننا" في أشعارهم، وهي أسطورة سومريّة، عُرفت في بلاد الرّافدين وقد كان جبرا نفسه معجباً بها. ومن هؤلاء (الشّعراء التّموزيين) حسب تصنيف جبرا: السيّاب وتوفيق صايغ وبلند الحيدري وخليل الحاوي وعلي أحمد سعيد، (أدونيس)، والبياتي ويوسف الخال،<sup>1</sup> وقد لقي جبرا معارضة من بعض النّقاد الشّعراء مثل سامي مهدي، في إطلاق هذا الاسم على الشّعراء المشار إليهم هنا، باستثناء بدر شاكر السيّاب، الّذي أكثر من استعمال الرّموز التّموزيّة في شعره، وذلك في مقالة له في جريدة الدّستور الأردنيّة، بتاريخ 2007/11/16، وجبرا كان من المؤثّرين في هذا الشّاعر بشكل كبير، وأبرز دراساته كانت حول شعره.

<sup>1</sup> جبرا، النّار والجوهر، مرجع سابق، ص 40.



## مشروع جبرا النّقدي

يرى جبرا في النّقد ضرورة لازمة، ولا بدّ من اللّجوء إليه، "ولا بدّ منه لفهم ما يجري في عمليّة الخلق، طالباً ذلك التّكامل الدّهني والنّفسي بينهما، الّذي وجدته في العديد من كبار النّقّاد الإنجليز"،<sup>1</sup> وعن فهمه للعمليّة النّقديّة، يقول: "النّقد عندي عمليّة استغوار وكشف، وأنا بالطّبع لا أستطيع استغوار ما لا غور له، كما لا يهمني أن أكشف أرضاً يطرقها كلُّ غاد ورائح. إذن، فأنا بمجرد إقبالي على بحث عمل أدبي أقرأ ضمناً بإعجابي به وإحساسي بقيمته".<sup>2</sup> ومن عباراته تلك يتّضح لنا أنّ الكتابة النّقديّة عند جبرا تولّدها حوافز ذاتيّة، وأنّ أحكامه النّقديّة تستمدُّ مبادئها من موقفه الإبداعي.

وهذه الرّؤية النّقديّة عند جبرا تثير تساؤلات لا بدّ من طرحها، وهي:

هل كان لجبرا خطاب نقدي متميّز؟ بمعنى: هل لجبرا نظريّة نقديّة واضحة المعالم؟ أم أنّ نشاطه النّقدي لا يخرج عن إطار مشروع نقدي، له حضور في الوسط الثّقافي؟

من الجدير ذكره هنا، أنّ جبرا إبراهيم جبرا أشار، في غير موقع في مقالاته، إلى أنّ آراءه النّقديّة جاءت على شكل مواقف وردت في كتب عدّة ممّا كتبه أو ترجمه، والتي تتضمّن مقالات وبحوثاً يتجاوز عددها الثلاثين، وأنّ من يريد فهمه عليه أن يللمه في أشكال كتاباته المختلفة.<sup>3</sup> وبناء عليه، مال عدد من الدّارسين إلى القول إنّ جبرا لم يكن يمتلك رؤية نقديّة ذات منهج واضح، من هؤلاء: عبد الجبّار داود البصري،

<sup>1</sup> جبرا، شهادات النّقّاد، مجلّة فصول، المجلّد 4، العدد 3، مايو/فبراير، 1991، ص 171.

<sup>2</sup> جبرا، ينباع الرّؤيا، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1978 ص 127.

<sup>3</sup> جبرا، أقنعة الحقيقة أقنعة الخيال، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1992، ص

ماجد السَّامِرَائِي، إبراهيم خليل، معتصم توفيق الخضر، ذلك لأنَّ نقده "خلق يتوازي فيه الخطاب النَّقدي مع النَّصِّ متحرِّراً من أيِّ نهج نقدي ذي حدود واضحة المعالم ومحدَّدة"<sup>1</sup>. إذن: ما كان لديه هو: مشروع نقدي تكوَّن عنده مبكِّراً، أثناء دراسته في بريطانيا. ويمكن القول، علاوة على ما ذكر، إنَّ جبرا كان في الأساس شاعراً وكاتباً، "والشَّاعر لا ينتج لنا في نقده ما يمكن أن نعدَّه نظريَّة نقديَّة محدَّدة متماسكة بقدر ما يقدِّم لنا تقمُّصاً لذاته واستغواء لرؤاه"<sup>2</sup>، وممَّا يعزِّز ذلك الرَّأي أنَّ جبرا آمن بتفاعل المناهج وتضافر المعارف في سياق النَّقد الَّذي يسعى لفهم أفضل للأدب ورؤية ثاقبة للإبداع والفنِّ.

ويسير مشروع جبرا النَّقدي هذا في مسارين واضحين:

الأوَّل: مسار الحداثة والتَّجديد والثَّاني: المسار التَّنويري.

فأمَّا مسار الحداثة فيتجلَّى في قراءات جبرا النَّوعيَّة لأعمال بعض الشُّعراء، من مثل: أدونيس، ويوسف الخال وتوفيق الصَّايغ. يضاف إليها قراءته لشعر شعراء كانوا يُقرؤون قراءة تقليديَّة، فأعاد اكتشافهم حداثيًّا، مثل: الجواهري ونزار قبَّاني وعبد الرَّحيم محمود، فلا غرو في ذلك، فقد كان جبرا في طليعة المثقِّفين العرب المنحازين إلى الحداثة بين مجاليه، وأكثرهم حماسة لها، وسنعود إلى موضوع الحداثة عند الحديث عن ملامح مشروع جبرا النَّقدي.

وأما المسار التَّنويري (التَّثقيفي)، فلأنَّ جبرا كان يضع في حسابه أنَّه متوجِّه إلى جمهور قد لا يكون مطلعاً على أحدث المدارس الأدبيَّة في العالم،<sup>3</sup> وقد لا يكون -هذا

<sup>1</sup> ماجد السَّامِرَائِي، الشَّاعر العربي الحديث ناقدًا، أعمال الحلقة النَّقديَّة لمهرجان المرشد النَّاسع، إعداد شاكر خصباك، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة، بغداد، 1989، ص 73.

<sup>2</sup> ن.م.، ص 18-10.

<sup>3</sup> أحمد دحبور، جبرا إبراهيم جبرا، مرجع سابق.

الجمهور- قد فهم المصطلحات الأدبية المستعملة، مثل: المونولوج، والديالوج، والبرولوج، والمدرسة القوطية وغيرها من المصطلحات؛ فكتب في ذلك مقالات تظهر لقرارها أنها تعليمية تثقيفية.

ويمكن تصنيف مقالاته النقدية كلها في نوعين ظاهرين للعيان:  
الأول: مقالات تجديدية نظرية في المضمون، والآخر: كتابات نقدية تطبيقية، بسمة إبداعية طاغية. وسيُضح ذلك فيما يلي من سطور.

### أسس مشروع جبرا النقدي:

يلحظ المتتبع لمشروع جبرا النقدي، أن اهتمامه في إطار هذا المشروع يتمحور حول أسس بعينها، وهي:

#### - الحداثة والتراث:

الحداثة عند جبرا كانت ديدنه والتجدد كان رسالته، يركّز على حق الأدب العربي فهما، ومفتاح الحداثة والتجدد عنده هو الانفتاح على التراث والإبداع الإنسانيين. بدأت إسهامات جبرا بالحداثة الشعرية منذ أواسط الأربعينات، بعد عودته من إنجلترا، وتجلت بعد ذلك في دواوينه الثلاثة: تمّوز في المدينة، ولوعة الشمس، والمدار المغلق.

ولعلّ المقديمة التي كتبها جبرا لمجموعة بلند الحيدري "أغاني المدينة الميتة"، عام 1943، كانت إيذاناً بالدعوة إلى التجديد، وكذلك المقديمة التي كتبها لديوانه "تمّوز في المدينة 1959"، هي أيضاً، كانت مبدئية بالأنموذج الحداثي الجديد للشعر الذي اتضحت معالمه فيما بعد في كتاباته النقدية، التي شدت فيها على ضرورة أن يتخطى هذا الجديد صفة القدم والجدة، إلى الاستمرار والديمومة.

ويعرّف جبرا الحداثة بأنها: "هذه الطّاقة الحيويّة المتفجّرة، فكراً ورؤية، والغوص في أعماق اللّآ شعور الجمعي والنّظر إلى التّراث من أفق التّجديد"، ولعلّ أهمّ ما قامت عليه الحداثة عند جبرا، أنّها: "وعي التّغيّر في عالم متحوّل"، وليس بما أخذها به سواه من أنّها صراع بين رؤيا جديدة ورؤية قديمة".<sup>1</sup>

فقد نظر جبرا إلى التّجديد من خلال ارتباطه بالتّغيّرات الجذريّة الّتي ينبغي أن تحصل في واقع الثّقافة العربيّة اليوم، وفي تكوين نظرة العرب الثّقافيّة إلى العالم، لذا دعا جبرا المبدعين إلى أن يتعمّقوا في الجذور الثّرائيّة، ليستمدّوا من جذورهم التّاريخيّة قوّة الإبداع؛ تحقيقاً للأصالة العربيّة؛ لأنّ التّراث عنصر أساسي في بناء الرّؤية الجديدة، ولأنّ له "قوّة هائلة في حياتنا، ويجب أن تبقى له هذه القوّة المغذيّة للنّفس"، وعلينا أن نأخذ منه ما هو حيّ، ففي "التراث قوّة نستمدّها، ولكن يجب أن نضيف إليها قوّة جديدة، بحيث تكون الحداثة انطلافاً سهماً، لا دورانياً انكفائياً"، وفي الوقت نفسه يقول: العودة، "إلى التّراث لا تجدد شيئاً، لكن بالانطلاق منه، وبالإضافة إليه نجدد قوته".<sup>2</sup> من هنا، يرى جبرا أنّ الحداثة والمعاصرة هي استصفاء الجوانب المشرقة من الموروث الأدبي والفكري، والاطّلاع على معارف العصر... وأن يكون أدبنا بمستوى آداب الأمم الأخرى، وأن يبني بناءً ذروياً.<sup>3</sup> فنحن "لا يمكن لنا أن نخلق حضارة هكذا فجأة منقطعة عن حضارات الأمم الأخرى غير معتمدة عليها، ممّا يسوّغ لنا نقل معارف الغرب إلى لغتنا، وهذا لا يعني أبداً أنّنا بذلك نتنازل عن هويّتنا وخصوصيّتنا القوميّة".<sup>4(40)</sup> بل أكثر من

<sup>1</sup> ماجد السّامرائي، جبرا إبراهيم جبرا.. الفنّان والفنّ والمدنية.

<sup>2</sup> جبرا، ينابيع الرّؤيا، مرجع سابق، ص 141-142.

<sup>3</sup> جبرا، الحرّيّة والطّوفان، مرجع سابق، ص 7.

<sup>4</sup> جبرا، معايشة النّمر، مرجع سابق، ص 66.

ذلك، فقد شدّد- جبرا- على حرّيّة المبدع وتخفّفه من الحسابات التي تقع خارج الإبداع من جهة، وعلى تخلّصه من سلطة الثقافة السائدة من جهة ثانية. ومن مظاهر احتفال جبرا بالتراث، اهتمامه بالسرديات التراثية العربية وتوجّهه إلى إنصافها، خاصّة تلك التي اتخذت صفة التراث الإنساني، مثل ألف ليلة وليلة، وقد دعا إلى الاهتمام بها اهتماماً خاصاً؛ لاحتوائها على تراكيب وأفكار ذات خطر، وعلى ما يثير الدهشة الإنسانية، ولما تتضمّن هذه الحكايات من جوانب نفسية واجتماعية، إضافة إلى أنّها حكايات شعبية تمثّل الخيال الشعبي "وفوران المخيلة الإنسانية، فهو فوران بلا حدود".<sup>1</sup> وهو يقرُّ بالأثر الذي تركه هذا العمل الشعبي على روايته: السفينة والبحث عن وليد مسعود.

#### - الأسطورة:

ترجم جبرا عدداً من المقالات التي تتمحور حول الأسطورة، وقد جمعها في كتابه: "الأسطورة والرّمز"، الذي أصدره عام 1973، وقد كان لهذه المقالات أثرها في نقده التطبيقي للشعر المرتكز على ما في الأسطورة من دلالات رمزية، ونجده في قراءاته النقدية هذه، يؤكّد على الصلة والترابط بين الأسطورة والمعنى في العمل الأدبي موضوع النقد.

كان للأسطورة حضور قويّ في شعره، خاصّة الأساطير البابلية والسومرية مثل عشتاروتّموز، وهذا الحضور عينه تجلّى في نقده: فقد نظر إلى الأسطورة من زاوية "تضمينها والاستمداد من معانيها واستخدامها كحياكل داخلية لأشكال جديدة"، فقد وجد فيها "طاقة إيجابية يجب أن نحذق خزنها في إبداعنا الحديث".<sup>2</sup> ومن شدّة اهتمامه بالأسطورة التّموزية، التي كان يرى أنّ لها قيمة فكرية أساسية في

<sup>1</sup> جبرا، مجلّة الموقف الأدبي، العدد 106 شباط "فبراير" 1981 ص 135.

<sup>2</sup> جبرا، الحرّيّة والطوفان، مرجع سابق، ص 148.

فكر الإنسان، أن أطلق على مجموعة من الشعراء المجيدين اسم: الشعراء التَّمُوزِيِّين، ورأى أن هذه الأسطورة على وجه التَّحديد قد شكَّلت للشاعر السَّيَّاب "الينبوع الذي يستقي منه معظم صوره الشَّعرية"<sup>1</sup>.

وقد حاول جبرا أن يرصد في شعر الشعراء التَّمُوزِيِّين، دور الأسطورة في إغناء صوره المجازية ورموزه وكنائياته، "وأن يوضح كيف تخزن الأسطورة الطَّاقة، التي بإمكانها أن تنفجر في ذهن المتلقِّي صورًا وأفكارًا وعواطف" وكان يرى أنَّ الشَّاعر في قصيدته يتَّخذ من الشَّخصية (الأسطورية) قناعًا يتكلَّم من خلفه بما يريد.<sup>2</sup>

#### - المصطلح:

كان لجبرا قدرة كبيرة على تصحيح تسمية كثير من المصطلحات، بل وتحديد مدلولاتها بدقَّة شديدة، وبما أنَّ "وضوح المفاهيم والدقَّة الاصطلاحية صفة من صفات النَّقد الأدبي الذي يحقِّق التَّواصل بين النَّصِّ والقارئ، أكثر من استعراض النَّاقِد لمعارفه الشَّخصية وذوقه الفردي"<sup>3</sup>، فقد عمد جبرا إلى استخدام المصطلحات بطريقة أقرب إلى التَّنوير والتَّثقيف، - كما ذكرنا أعلاه- محاولًا نفص غبار الغموض عنها، مثل: الشَّعر الحريّ، وقصيدة النَّثر، ومصطلح القناع والصُّورة، والمونولوج الدِّرامي، والمونتاج والجهر والتَّضمين، والرَّمز، وما كان يشتقُّه من مصطلحات "كالشُّعراء التَّمُوزِيِّين"، يغدو متداولًا معروفاً.

ومن المصطلحات الجديدة التي وردت في مقالاته ولم تكن معروفة في النَّقد العربي الموروث:

<sup>1</sup> جبرا، الرِّحلة الثَّامنة، مرجع سابق، ص 24.

<sup>2</sup> حفناوي بعلي، العبقريَّة والتُّراث والأسطورة، [www.startimes.com](http://www.startimes.com).

<sup>3</sup> (إبراهيم خليل، جبرا إبراهيم جبرا الأديب النَّاقِد، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، بيروت، ط1،

الرُّومانيَّة، الرَّمزيَّة، ومصطلح الوحدة العضويَّة، الَّذي استعمله في نقده التَّطبيقي لعدد من الأعمال الأدبيَّة، بوصفها قيمة جماليَّة، ومصطلح العقد النَّفسيَّة ومركَّب النَّقص، والالتزام، والواقعيَّة، ومصطلح الذِّروة، (climax)، وهي في نظره: "بناء تصاعدي يبدأ بعناصر متفرِّقة، يشتدُّ الصِّراع فيما بينها ويتأزَّم الموقف عند نقطة يشعر فيها القارئ باللَّذَّة والمتعة، ثمَّ يعقبها هبوط وسلام يؤدِّي إلى حلِّ الأزمة والارتياح"<sup>1</sup>، وقد لفت جبرا إلى أنَّ هذا المصطلح كان مجهولاً في الشِّعر العربي، وعند القارئ العربي أيضاً. ومن المصطلحات الجديدة عنده: مصطلح وحدة القصيدة، الَّذي جعله مقياساً من مقاييس الشِّعريَّة في الأعمال الأدبيَّة الَّتِي تناولها ناقداً لها، ومصطلح الشِّعر الحرِّ، الَّذي استعمله في كتابته التَّقديَّة حول ديوان "ثلاثون قصيدة"، لتوفيق صايغ، وقد تناول جبرا - في هذا الإطار- الأخطاء الَّتِي وقع فيها المحدِّثون في استخدامهم للمصطلحات الحديثة، ولا يخفى على قارئ جبرا ما قاله عن نازك الملائكة، أنَّها "ترتكب بذلك مغالطة واضحة في وضع الاصطلاح"<sup>2</sup>.

#### - النَّصُّ الأدبي:

يرى جبرا، أنَّه من اللازم تحرير الإبداع الأدبي من رِبقة صاحبه، يقول في ذلك بوضوح تامٍّ: "إنَّ عليَّ أن أفصل النَّصَّ عن صاحبه، وأن أستغور هذا النَّصَّ كما لو كان منسجماً"<sup>3</sup>، فالنَّصُّ عنده مستقلُّ تمام الاستقلال عن مؤلِّفه وعن شخصيَّته، فهو قائم بذاته. وهذا الرَّأي هو مظهر من مظاهر تأثر جبرا بنظريَّة (المعادل الموضوعي) عند إليوت، الَّذي كان تأثيره عليه كبيراً.

<sup>1</sup> جبرا، الحرِّيَّة والطُّوفان، مرجع سابق، ص 7

<sup>2</sup> جبرا، الرِّحلة الثَّامنة، مرجع سابق، ص 18-19.

<sup>3</sup> حفناوي بعلي، العبقرية والتُّراث. مرجع سابق.

ويرى جبرا - في موضوع النَّصِّ أيضًا- أنَّ القراءة هي إبداع يبدأ باللَّذَّة ويتحوَّل فيما بعد إلى عمليَّة تحليليَّة: إلَّا أنَّ ذلك لا يعني عنده قتل النَّصِّ وتجميده بقدر ما يعني "المغامرة في محاولة لاكتناه أسراره"، وأنَّ "على النَّاقِد أن يتناول العمل الفنيَّ كشيءٍ بحدِّ ذاته، له كيانه الخاصُّ المحدَّد، أي: يجب عليه ألاَّ يخلط بين النَّصِّ وصاحبه؛ فالنَّقد يجب أن يعالج النَّصَّ نفسه ويستخرج الكوامن منه لا من أيِّ مصدرٍ آخر".<sup>1</sup> والنَّصُّ - عند جبرا - له حياته الخاصَّة، وله قوانينه ومبادئه الداخليَّة التي تنتظمه، فلا عجب إذن، إذا قلنا: إنَّ جبرا كان انتقائيًّا في نقده، وأنَّ هدفه من نقده الاستزادة من التَّدوُّق. وأنَّ المتمعَّن في آثاره النَّقدية سرعان ما يلحظ أنَّ نقده مبنيٌّ على تجربته الإبداعية الخصبية، "لا على التَّفكير المحض"<sup>2</sup>، وبذلك يكون قد خرج إلى النَّقد من دائرة الإبداع.

### النَّقد التَّطبيقي:

يتجلَّى النَّقد التَّطبيقي عند جبرا، في مجموعتين من مقالاته النَّقدية، المجموعة الأولى: مقالاته حول مجموعات شعريَّة عربيَّة، وهي قراءة نقدية في مجموعة شعريَّة ليوسف الخال، باسم "البئر المهجورة" وقد مضى فيها يؤوِّل رموز هذا الشَّاعر من قصيدة إلى أخرى، إلى أن يختتمها باكتشاف الرؤية الدينيَّة والعودة إلى الله. والثَّانية: مقالاته حول مجموعة شعريَّة أمريكيَّة، بعنوان "أوراق العشب"، لولت ويتمن (Walt Whitman)<sup>3</sup>. وأمَّا مجالات هذا النَّقد فتتَّضح من خلال تركيزه على الحداثة والتُّراث والأسطورة، وفصل النَّصِّ عن مبدعه.

<sup>1</sup> انظر: جبرا، تأملات في بنيان مرمري، رياض الرِّيس للكتب والنَّشر، لندن، 1988 ص 135.

<sup>2</sup> إبراهيم خليل، جبرا إبراهيم جبرا مرجع سابق، ص 145.

<sup>3</sup> عبد الجبَّار داود البصري، الخطاب النَّقدي عند جبرا إبراهيم جبرا، مرجع سابق.



## المراجع:

- 1- خليل، إبراهيم. جبرا إبراهيم جبرا الأديب الناقد. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001.
- 2- دحبور، أحمد. جبرا إبراهيم جبرا. ديوان العرب.  
<http://www.diwanalarab.com>  
- يعقوب، أوس داود. جبرا إبراهيم جبرا - ظلُّ الغياب. بيت فلسطين للشعر.  
- أضواء على التجربة الشعرية للشاعر الفلسطيني الراحل جبرا إبراهيم جبرا. [ru-ru.facebook.com](http://ru-ru.facebook.com)  
- جبرا، جبرا إبراهيم. أفنعة الحقيقة أفنعة الخيال. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992.  
..... تأملات في بنيان مرمري. لندن: رياض الرّيس للكتب والنشر، 1988.  
..... الحرّية والطوفان، دراسات نقدية. ط2. بيروت: المؤسسة للدراسات والنشر، 1979.  
..... شارع الأميرات، دار الآداب، بيروت، 2007.  
..... شهادات النقاد، مجلة فصول، المجلد 4، العدد 3، مايو فبراير. 1991،  
..... الفنُّ والحلم والفعل، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986.  
..... "مجلة الموقف الأدبي" ع (106) شباط، 1981.  
..... معايشة النّمة وأوراق أخرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ط1، 1992.  
..... النّار والجوهر، دراسات في الشعر، دار القدس، بيروت: ط1، 1975.  
..... ينابيع الرّؤيا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: ط1، 1978.

3- حفناوي بعلي، العبقريّة والتُّراث والأسطورة في خطاب جبرا النّقدي،

www.startimes.com

- سامي مهدي، جبرا إبراهيم جبرا والزيّادة الشعريّة، كُتّاب العراق،

www.iraqiwriters.com

..... جبرا إبراهيم جبرا والزيّادة الشعريّة: من أين جاءت الزيادة؟!، القدس

العربي، 2013/1/22.

..... جبرا إبراهيم جبرا وتوفيق صايغ، صداقة حميمة وتأثير أحادي الجانب،

جريدة الدُستور الأردنيّة، بتاريخ 2007/11/16.

4- عبد الجبّار داود البصري، الخطاب النّقدي عند جبرا، المجلّة الثّقافيّة،

الجامعة الأردنيّة، 1998

5- ماجد السّامرائي: جبرا إبراهيم جبرا: الرُّؤية النّقديّة من أفق الإبداع

www.startimes.com

..... حوار في دوافع الإبداع، مع جبرا إبراهيم جبرا. سوسة: دار المعارف،

1996.

..... الشّاعر العربي الحديث ناقداً، أعمال الحلقة النّقديّة لمهرجان المرشد

التّاسع، إعداد شاكر خصيباك، بغداد، دار الشؤون الثّقافيّة، 1989،

..... جبرا إبراهيم جبرا... الفنّان والفنّ والمدينة، مجلّة العربي العدد 660 -

11/2013-ملفٌ خاصّ.

6- محمّد غنيمي هلال، النّقْد الأدبي الحديث. بيروت: دار العودة، 1973.